يا أهل الإيمان والحكمة

احذروا

الحوثيون يريدون كسر الباب!!

تأليف

أبو عمر الرميمة

المقدمة وسبب اختيار هذا الموضوع:

الحوثيون ذراع إيران في اليمن، يسعون جاهدين لتمزيق اليمن، وتفتيت هوية الشعب، تنفيذاً منهم لمشاريع رافضية بدعم وتوجيه إيراني، وقد كان ما جرى في هذا الشهر أقصد شهر ربيع الأول، وفي الثاني عشر منه من حشد الحوثي لأتباعه ومناصريه وحلفائه من جميع أرجاء اليمن للاجتماع في صنعاء لإحياء ذكرى المولد النبوي كما يزعمون، والذي أراه من وجهة نظري إنما يعد استعجالاً منهم لإعلان ميلاد مشروعهم، ولا علاقة لما فعلوه بميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم، بل هو عمل سياسي، واستعراض عسكري لقواته بهدف الإعلان عن خروجه عن نطاق محافظة صعدة ليمتد نفوذه إلى عاصمة البلاد صنعاء، ليستطيع بذلك استعراض قوته أمام قنوات الإعلام المتعددة المتواجدة في صنعاء، والتي قد يتعسر عليها النزول لصعدة، وهو بذلك كما يقول أتباعه أوصل رسالة كان لا بد لها أن تصل، حتى إذا وصلت تمكن بعد ذلك من فرض سياسة الأمر الواقع على طاولة الحلول المفترضة للخروج باليمن من الأزمة الراهنة، يلحظ ذلك من خلال كلمة زعيم الحركة التي ظهر فيها مزهواً بهذه القوة يهدد ويرعد ويزبد ويوجه تحذيراً صريحاً للدولة من التفكير بعدوان جديد عليهم، وأن الرد سيكون قاسياً هذه المرة بحسب كلامه.

وهذا الاستعراض يعد كسراً لباب الأمن والاستقرار الذي يطمح إليه الشعب في اليمن، ومع أهمية هذا الموضوع وأهمية الحديث عنه، إلا إن المقصود بالباب (عنوان هذا الموضوع) والذي يريد الحوثيون كسره هو باب آخر، يطل على موضوع عقدي هام، يلزم على جميع اليمنيين أن يحرصوا على الحفاظ عليه مغلقاً، حفاظاً منهم على عقيدة الأمة ودينها، هو باب معاوية رضي الله عنه، فالحديث عن موضوع معاوية رضي الله عنه وفي هذه الأيام له أهميته وذلك لسببين:

أولاهما: ما نراه ونسمعه على القنوات وصفحات الفيسبوك من جرأة الحوثيين في الطعن في معاوية رضي الله عنه والمجاهرة بلعنه وتكفيره، يقابل ذلك سكوت وتساهل من كثير من أهل السنة في موضوع الدفاع عن الصحابي الجليل معاوية رضي الله عنه، ولعل سبب ذلك هو كثرة طرق الحوثيين للشبهات وكيلهم للتهم، والتي استطاعوا من خلالها زعزعة ثقة الناس بفضل ومكانة هذا الصحابي، فكان لا بد لكل غيور على دينه محب لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يدافع عن هذا الصحابي لما في الدفاع عنه من مصلحة دينية عظيمة كما سيأتي في ثنايا هذا الموضوع.

ثانيهما: لقناعتنا الراسخة التي فهمناها من سلفنا الصالح أن الطعن في معاوية رضي الله عنه والوقيعة به إنما يراد منه ما وراءه وهو ما حذر منه علماء الأمة قديما حين قالوا: "إن معاوية بن أبي سفيان ستر لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فمن كشف الستر اجترأ على ما وراءه" [انظر البداية والنهاية (8/139) نقلا عن أبي توبة الحلبي].

فالصراع الذي يديره الحوثيون سواء في جانبه التنظيري، أو السياسي يسيرون فيه وفق معطيات هندسية بما أن... إذاً. فالحوثي الزعيم (عبد الملك) يدير صراعه السياسي وفقاً لهذه المعطية الحكومة منعتناً من إقامة المولد، والمولد خاص بالرسول إذا هذه الحكومة عدوة لله وللرسول وعميلة لأمريكا وإسرائيل، لماذا تحاربون القبائل؟ لأنها تقف ضد مشروعنا، ونحن نلعن أمريكا وإسرائيل فإذا هم عملاء لأمريكا وإسرائيل وهكذا دواليك. كذلك الحوثي المؤسس والمنظر (حسين) تجرأ للطعن في الصحابة وفي عظمائهم ويتهمهم بأبشع التهم بأنهم قتلوا آل البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين وفقاً لهذه المعطية فتجده وفي غالب ملازمه يصب جام غضبه على الخليفة الراشد عمر بن الخطاب لماذا؟ لأنه ولى معاوية ... ومعاوية من وجهة نظر سبب فساد العالم، فإذا عمر رضي الله عنه رغم أنف الحوثي سبب فساد العالم. فعمر بن الخطاب حكمه إذا حكم معاوية بل أعظم، وهو نفس حكم أبي بكر بل أشد: هذا هو دأب حسين الحوثي في معظم ملازمه وإليك هذا النموذج الذي ينبئ عما وراءه قال حسين الحوثي: "معاوية سيئة من سيئات عمر, أنا في اعتقادي, ما معاوية بكله إلا سيئة من سيئات عمر بن الخطاب، أبو بكر هو واحدة من سيئاته، عثمان واحدة من سيئاته، معاوية واحدة من سيئاته, كل سيئة في الأمة هذه، كل ظلم وقع على الأمة، وكل معاناة الأمة وقعت فيها المسؤول عنها أبو بكر وعمر وعثمان، عمر بالذات لأنه هو المهندس للعملية كلها، هو المرتب للعملية كلها فيما يتعلق بأبي بكر..." [ملزمة تفسير سورة المائدة الدرس الأول].

ويقول في موضع آخر: "كان هناك استقرار لدى معاوية.. سنين طويلة من أيام عمر, من أيام الفاروق، الفاروق الذي جعل هذه الأمة تفارق علياً، وتفارق القرآن، وتفارق عزها ومجدها من يوم أن ولـيَّ معاوية على الشام، وهو يعلم من هو معاوية, هو يعلم من هو معاوية. إذاً كل بلية أصيبت بها هذه الأمة، كل انحطاط وصلت إليه هذه الأمة، كل كارثة مرت في هذه الأمة بما فيها كربلاء، إن المسئول الأول عنها هو عمر، المسئول عنها بالأولوية هو عمر قبل أبي بكر نفسه، قبل أبي بكر نفسه، عمر الذي ولى معاوية على الشام سنيناً طويلة" [ملزمة دروس من وحي عاشوراء].

فانظر المقدمة والاستنتاج في كلا الملزمتين مع اختلاف موضوعهما، وولاية أبو بكر يعود سببها لتآمر عمر ومنعه الرسول صلى الله عليه وسلم من كتابة الوصية لعلي بالإمامة، فتآمر عمر مكشوف مفضوح كما يؤكده في هذا المقطع: "ألم يكشف لنا هنا نفسية عمر أنه إنسان لا يهمه أمر الأمة، أنه إنسان لا يتألم فيما إذا ضلت الأمة، أنه إنسان يحول دون كتابة كلام يحول دون ضلال الأمة, يؤدي بالأمة إلى أن لا تضل؟. هل هذا إنسان في أعماق نفسه يهمه أمر الأمة وأمر الدين؟ لا. إذاً فهذه النوعية هي التي لا تصلح إطلاقاً أن تحمل لها ذرة ولاء وإن نُمِّقَتْ أمامك وادّعوا لها الآلاف من الفضائل..." [ملزمة تفسير سورة المائدة – الدرس الثاني].

ولعل القارئ الكريم يلحظ إيماء الحوثي في كلامه هذا إلى الطعن في الرسول صلى الله عليه وسلم واتهامه بالتقصير في إبلاغ ما أمره الله به من كتابة الوصية بالخلافة للإمام علي بن أبي طالب، فهو يثبت أن عمر كان سبباً في توقف الرسول عن كتابة الوصية لعلي، فإذا الرسول مات ولم يبلغها؟!

وبهكذا منطق تنتهي هذه المعطية الهندسية عند إثبات الطعن في دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم. هذا الكلام يبين للقارئ الكريم حقيقة ما قررناه وقرره علماء الأمة من قبل، لا تسمحوا للسفهاء بالطعن في معاوية رضي الله عنهم، لأن ذلك سيشجعهم على الطعن فيمن ورائه. ولأجل ذلك كان واجباً على كل من آتاه الله علماً وحجة أن ينافح ويدافع عن بوابة الصحابة وسترهم معاوية رضي الله عنه؛ لكونه أولاً: دفاعاً عن صحابي يجب تدينا الدفاع عنه. وثانياً: سداً لذريعة المنكر العظيم الذي سيطال جميع الصحابة في حال التساهل. وعليه كان هذا الجهد البسيط في بيان فضل الصحابة عموماً ومن جملتهم الصحابي الجليل معاوية، ثم خصصنا الحديث عن الصحابي معاوية رضي الله عنه، وذلك بذكر بعضاً من شهودنا في إثبات فضيلة الصحابي معاوية، والسبب الذي جعلنا نرى وجوب الدفاع عنه، فدفاعنا عنه لا يقل أهمية عن دفاعنا عن غيره من الصحابة. نسأل الله أن يجعلنا من الذي قال فيهم: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: 10].

أولاً: الموقف من الصحابة عموماً:

كان السلف رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم لا يذكرون الصحابة إلا بالجميل، ويُتَرَحَّمون عليهم ويثنون عليهم. وأما من تكلم فيهم أو في بعضهم من الخلف بكلام لا ينبغي فهو في الحقيقة لم يضرَّهم إنما ضرَّ نفسه؛ وذلك أنهم رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم قدِموا على ما قدَّموا، وقد قدَّموا الخير الكثير، وقد قدَّموا الأعمال الجليلة التي قاموا بها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورضي الله تعالى عنهم، فالذي يتكلم فيهم بما لا ينبغي هو في الحقيقة لا يضرهم وإنما يضرُّ نفسه. بل إن ذلك يكون زيادة في حسناتهم، ورفعة في درجاتهم؛ لأنه إذا تكلم فيهم بغير حق أضيف إليهم من حسنات المتكلم فيهم إذا كان له حسنات، فيكون ذلك رفعة في درجاتهم، وإن لم يكن له حسنات فإنه لا يضر السحاب نبح الكلاب كما يقولون.

فضل الصحابة رضي الله عنهم لما أرسل الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم وختم به الرسالات، وجعل رسالته صلى الله عليه وسلم كاملة شاملة خالدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، خصّه سبحانه وتعالى بأصحاب اختارهم لصحبته، فشاء أن يوجدوا في زمانه ووجدوا، وقاموا بما أمكنهم من جدّ واجتهاد في الجهاد معه في سبيل الله، ونشر سنّته، وتلقي ما جاء عنه عليه الصلاة والسلام؛ فصاروا هم الواسطة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين من جاء

بعدهم. ومن يقدح فيهم إنما يقدح بالواسطة التي تربط المسلمين برسول الله صلى الله عليه وسلم، فالذي يقدح فيهم يقدح بالصلة الوثيقة التي تربط الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم.

من فضائل الصحابة في القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿ثمَّ أنزلَ سَكينَتَهُ على رسولِه وعلى المؤمنين وأنزَلَ جُنوداً لم تَروها وعذَّبَ الّذين كفروا وذلك جَزاءُ الكافرين﴾ [التوبة: 26]، وقال جلَّ وعلا: ﴿لا يَستَوي مِنكم مَن أَنفقَ مِن قَبلِ الفتحِ وقاتَل أولئك أعظَمُ درَجةً مِنَ الذينَ أنفقوا مِن بَعدُ وقاتَلوا وكُلاً وَعَدَ اللهُ الحُسنى واللهُ بما تَعملون خَبير﴾ [الحديد: 10].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ تابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ والمُهاجِرينَ والأنْصارِ الَّذينَ اتَّبَعُوهُ في سَاعَةِ العُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ ما كادَ يَزِيغُ قُلوبُ فَرِيقٍ مِنهم ثُمَّ تابَ عَلَيْهِم إنَّهُ بِهِم رَؤوفٌ رَحيمٌ﴾ [التوبة: 117].

وقال تعالى: ﴿يومَ لا يُخْزِيْ اللهُ النَّبيَّ والذينَ آمَنوا مَعه نُورُهُمْ يَسعى بينَ أيديْهِم وبأيْمانِهِم﴾ [التحريم: 8].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ تابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ والمُهاجِرينَ والأنْصارِ الَّذينَ اتَّبَعُوهُ في سَاعَةِ العُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ ما كادَ يَزِيغُ قُلوبُ فَرِيقٍ مِنهم ثُمَّ تابَ عَلَيْهِم، إنَّهُ بِهِم رَؤوفٌ رَحيمٌ﴾ [التوبة: 117].

وقال تعالى: ﴿يومَ لا يُخْزِيْ اللهُ النَّبيَّ والذينَ آمَنوا مَعه، نُورُهُمْ يَسعى بينَ أيديْهِم وبأيْمانِهِم﴾ [التحريم: 8].

بعض نصوص السنة في فضائل الصحابة عموماً:

فعن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «يأتي على النّاس زمان فيغزو فئام من النّاس فيقولون: فيكم من صاحب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثمّ يأتي على النّاس زمان فيغزو فئام من النّاس فيقال: هل فيكم من صاحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم؟ فيقولون: نعم. فيفتح لهم، ثمّ يأتي على النّاس زمان فيغزو فئام من النّاس. فيقال: هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم» [البخاري رحمه الله (ج7 ص3) ومسلم (ج16 ص83)].

وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «خير أمّتي قرني، ثمّ الّذين يلونهم، ثمّ الّذين يلونهم – قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثًا – ثمّ إنّ بعدكم قومًا يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يفون، ويظهر فيهم السّمن» [رواه البخاري (ج8 ص3) ومسلم (ج16 ص87)].

فهذه النصوص النبوية تخبر بما لا يدع مجالاً للشك بخيرية الصحابة جميعاً وفضلهم.

أقوال السلف في الصحابة رضي الله عنهم:

بعد هذا أنقل لكم بعض النقول التي تكلم بها سلف هذه الأمة في حق صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم عموماً.

يقول الطحاوي في عقيدته المشهورة: "ونحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نفرط في حبِّ أحد منهم، ولا نتبرَّأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلاّ بخير، وحبُّهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان".

وقال شارح الطحاوية: "فمن أضل ممن يكون في قلبه غلٌّ على خيار المؤمنين، وسادات أولياء الله تعالى بعد النبيين؛ بل قد فضلهم اليهود والنصارى بخصلة؛ قيل لليهود: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى. وقيل للنصارى: من خير أهل ملتكم؟ فقالوا: أصحاب عيسى. وقيل للرافضة: من شر أهل ملتكم؟ فقالوا: أصحاب محمد، ولم يستثنوا منهم إلاّ القليل، وفيمن سبوهم من هو خير ممن استثنوهم بأضعاف مضاعفة" انظر شرح الطحاوية (ص:469)].

وقال البغوي في شرح السّنّة: "قال مالك: من يبغض أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان في قلبه عليه غلٌّ فليس له حق في فيء المسلمين، ثم قرأ قوله سبحانه وتعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: 10]، وذُكر بين يديه رجل ينتقص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ مالك هذه الآية: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ إلى قوله: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾، ثم قال: من أصبح من الناس في قلبه غلّ على أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقد أصابته هذه الآية" [انظر شرح السنة (229/1)].

وقال الشوكاني عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

قال بعد أن فسر ﴿الذين جاؤوا من بعدهم﴾ أي: بعد المهاجرين والأنصار بأنهم التابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين قال: "أمرهم الله سبحانه بعد الاستغفار للمهاجرين والأنصار أن يطلبوا من الله سبحانه أن ينزع من قلوبهم الغل للذين آمنوا على الإطلاق، فيدخل في ذلك الصحابة دخولاً أولياً؛ لكونهم أشرف المؤمنين، ولكون السياق فيهم، فمن لم يستغفر للصحابة على العموم، ويطلب رضوان الله لهم، فقد خالف ما أمره الله به في هذه الآية. فإن وجد في قلبه غلّ لهم فقد أصابه نزغ من الشيطان، وحلَّ به نصيب وافر من عصيان الله بعداوة أوليائه وخيرة أمة نبيه . صلى الله عليه وآله وسلم . وانفتح له باب من الخذلان يفد به على نار جهنم إن لم يتدارك نفسه باللجوء إلى الله سبحانه والاستغاثة به بأن ينزع عن قلبه ما طرقه من الغل لخير القرون وأشرف هذه الأمة. فإن جاوز ما يجده من الغل إلى شتم أحد منهم فقد انقاد للشيطان بزمام، ووقع في غضب الله وسخطه. وهذا الداء العضال إنما يصاب به من ابتلي بمُعلِّم من الرافضة، أو صاحب أحداً من أعداء خير الأمة، الذين تلاعب بهم الشيطان، وزين لهم الأكاذيب المختلقة،

والأقاصيص المفتراة، والخرافات الموضوعة، وصرفهم عن كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وعن سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم المنقولة إلينا بروايات الأئمة الأكابر في كل عصر من العصور، فاشتروا الضلالة بالهدى، واستبدلوا الخسران العظيم بالربح الوافر، وما زال الشيطان الرجيم ينقلهم من منزلة إلى منزلة، ومن رتبة إلى رتبة حتى صاروا أعداء كتاب الله، وسنّة رسوله، وخير أمته، وصالحي عباده، وسائر المؤمنين، وأهملوا فرائض الله، وهجروا شعائر الدين، وسعوا في كيد الإسلام وأهله كل السعي، ورموا الدين وأهله بكل حجر ومدر، والله من ورائهم محيط". هذا ما قاله الشوكاني رحمه الله في تفسيره عند هذه الآية، ثم قال: "أخرج الحاكم وصححه وابن مردويه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: الناس على ثلاث منازل، قد مضت منزلتان، وبقيت منزلة، فأحسن ما أنتم كائنون عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ الآية. وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري في المصاحف وابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها قالت: أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسبوهم، ثم قرأت هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [انظر فتح القدير (197،198/5)].

وقد أخرج مسلم في أواخر صحيحه هذا الحديث بدون تلاوة الآية.

وقال الإمام أحمد بن حنبل في كتابه السّنّة: "من السنة ذكر محاسن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم أجمعين، والكف عن الذي جرى بينهم، فمن سبَّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو واحداً منهم فهو مبتدع رافضي؛ حبهم سنّة، والدعاء لهم قربة، والاقتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة. وقال: لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم، ولا يطعن على أحد منهم، فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته، ليس له أن يعفو عنه، بل يعاقبه ثم يستتيبه، فإن تاب قبل منه؛ وإن لم يتب أعاد عليه العقوبة، وخلده في الحبس حتى يتوب ويراجع".

وقال الإمام أبو عثمان الصابوني في كتابه (عقيدة السلف وأصحاب الحديث): "ويرون الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيباً لهم، أو نقصاً فيهم، ويرون الترحم على جميعهم، والموالاة لكافتهم".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية: "ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما وصفهم الله في قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾. وطاعة للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله: **«لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنَّ أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه»**".

إلى أن قال: "ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم، وطريقة

النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل، ويمسكون عما جرى بين الصحابة، ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساوئهم منها ما هو كاذب ومنها ما قد زيد فيه ونقص، وغيّر عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون؛ إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون. وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما صدر منهم إن صدر، حتى إنه يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم؛ لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم، وقد ثبت بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم خير القرون، وأن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أُحد ذهباً ممن بعدهم، ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه، أو أتى بحسنات تمحوه، أو غفر له بفضل سابقته، أو بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم الذي هم أحق الناس بشفاعته، أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفِّر به عنه، فإذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين، إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطئوا فلهم أجر واحد، والخطأ مغفور. ثم إن القدر الذي ينكر من فعل بعضهم نزر مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم، من الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيله، والهجرة، والنصرة، والعلم النافع، والعمل الصالح. ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة، وما منَّ الله عليهم به من الفضائل عَلِمَ يقيناً أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله".

وقال الشيخ يحيى بن أبي بكر العامري اليمني في كتابه (الرياض المستطابة في من له رواية في الصحيحين من الصحابة): "وينبغي لكل صَيِّنٍ متدين مسامحة الصحابة فيما صدر بينهم من التشاجر، والاعتذار عن مخطئهم، وطلب المخارج الحسنة لهم، وتسليم صحة إجماع ما أجمعوا عليه على ما علموه؛ فهم أعلم بالحال، والحاضر يرى ما لا يرى الغائب، وطريقة العارفين الاعتذار عن المعائب، وطريقة المنافقين تتبع المثالب. وإذا كان اللازم من طريقة الدين ستر عورات المسلمين، فكيف الظن بصحابة خاتم النبيين مع اعتبار قوله صلى الله عليه وسلم:**«لا تسبوا أحداً من أصحابي»**، وقوله: **«من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»**. هذه طريقة صلحاء السلف وما سواها مهاوٍ وتلف" [انظر الرياض المستطابة (ص:311)].

ونقل الحافظ ابن حجر في فتح الباري عن أبي المظفر السمعاني أنه قال: "التعرض إلى جانب الصحابة علامة على خذلان فاعله، بل هو بدعة وضلالة" [انظر فتح الباري (365/4)].

وقال الميموني: "قال لي أحمد بن حنبل: يا أبا الحسن، إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من الصحابة بسوء فاتهمه على الإسلام" [انظر البداية والنهاية (139/8)].

وروى الخطيب البغدادي في كتابه (الكفاية) بإسناده إلى أبي زرعة الرازي قال: "إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق؛ وذلك أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا؛ ليبطلوا الكتاب والسّنّة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة" [انظر الكفاية (ص:49)].

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله: "واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من حروب، ولو عرف المحق منهم؛ لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلاّ عن اجتهاد، وقد عفا الله تعالى عن المخطئ في الاجتهاد، بل ثبت أنه يؤجر أجراً واحداً، وأن المصيب يؤجر أجرين".

وكل كلام أو فضيلة ذكرت للصحابة الكرام فيما يتعلق بفضلهم عموماً وما يجب لهم عموماً، فإن معاوية رضي الله عنه يدخل في ذلك، وله رضي الله عنه كلام يخصّه ويتعلق به مما ينبغي أن يوصف به، وأن يتكلم فيه بشأنه رضي الله تعالى عنه وأرضاه – كما سيأتي –.

معاوية رضي الله عنه والشهود على فضله:

التعريف بمعاوية رضي الله عنه:

"معاوية بن أبي سفيان واسمه صخر بن حرب الأموي القرشي خال المؤمنين وكاتب وحي رب العالمين، أسلم رضي الله عنه قبل الفتح وقيل بل هو من مسلمة الفتح وكتب للنبي صلى الله عليه وسلم، وولاه عمر الشام بعد أخيه يزيد ثم أقره عثمان وتولى الخلافة نزل له عنها الحسن قال بن إسحاق كان أميرا عشرين سنة وخليفة عشرين سنة روى عنه أبو ذر وأبو سعيد وابن عباس ومحمد بن الحنفية وخلق مات في رجب سنة ستين" [إسعاف المبطئ:1/ 27].

معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه صحابي بشهادة رجل من آل البيت:

ويشهد لصحبته شاهد من آل بيت النبوة كما روى البخاري أن معاوية أوتر بعد العشاء بركعة، وعنده مولى لابن عباس، فأتى ابن عباس، فقال: "دعه فإنه صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم"، وفي رواية: فقال ابن عباس: "إنه فقيه" [صحيح البخاري: ك: فضائل الصحابة، باب: ذكر معاوية، ح: 3764و3765 (130/7)]، فهو على هذا أحد الصحابة الذين أكرمهم الله بصحبة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم له ما لهم من حق المحبة والاستغفار.

وشهدت بصحبته وفضله نصوص السنة:

ثبوت كونه كاتبا للنبي صلى الله عليه وسلم، وكتابته الوحي: حديث ابن عباس: **«أن أبا سفيان قال: يا نبيَّ الله، ثلاثٌ أَعطِنيهنّ. قال: نعم. قال: عندي أحسنُ العربِ وأجملُه أمُّ حَبيبة بنت أبي سفيان؛ أُزوّجُكها. قال: نعم. قال: ومعاوية تجعلُه كاتباً بين يديك. قال: نعم. قال: وتؤمّرني حتى أقاتل الكفار كما كنتُ أقاتلُ المسلمين؟ قال: نعم»** [رواه مسلم في صحيحه (رقم 2501 أو 62/16 مع شرح النووي)].

وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اذهب فادعُ لي معاوية. قال ابن عباس: وكان كاتِبَه". [الذهبي في تاريخ الإسلام (309/4)، وأصلُه في صحيح مسلم (2604) ورواه أحمد (291/1 و335) والبيهقي في الدلائل (243/6) وغيرهم بسند جيد].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: إن معاوية كان يكتبُ بين يَدَي رسولِ الله صلى الله عليه وسلم". قال الهيثمي في المجمع [(357/9)]: "رواه الطبراني، وإسنادُه حسن".

وعن سَهْلِ بن الحَنْظَلِيَّة الأنصاري رضي الله عنه: أن عُيَيْنَةَ والأَقْرَعَ سألا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم شيئا، فأمرَ معاويةَ أن يكتُبَ به لهما، ففعلَ، وختَمَها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمَرَ بدفعه إليهما". [رواه أبوداود (1629) وأحمد (180/4) وابن حبان (303/2) والطبراني(97/6)].

وأمرُ كتابةِ معاوية للوحْيِ؛ وائتمانِ النبيّ صلى الله عليه وسلم عليهِ مشهور، وفي السِّيَر والمغازي والتواريخ معروفٌ ومسطور. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة [(439/4)]: "استكْتَبَه النبي صلى الله عليه وسلم لخِبْرَتِه وأمانته".

ومن فضائل معاوية رضي الله عنه كونه خال المؤمنين: قال الإمام أحمد: أقول: معاوية خال المؤمنين، وابن عمر خال المؤمنين. [رواه الخلال في السنة (433/2) بسند صحيح].

سأل رجلاً الحكم بن هشام الكوفي: ما تقول في معاوية؟ قال: ذاك خالُ كلِّ مؤمن. [رواه العجلي في الثقات (314/1) ومن طريقه ابن عساكر (88/15) بسند صحيح].

ومن فضائل معاوية ايضاً:

عن أم حَرَام الأنصارية رضي الله عنها أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: **«أولُ جيشٍ من أُمَّتي يَغزون البحر قد أَوجَبوا. قالت أم حَرَام: قلت: يا رسول الله، أنا فيهم؟ قال: أنتِ فيهم. ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: أولُ جَيشٍ من أُمَّتي يَغزون مدينة قَيصرَ مغفورٌ لهم. فقلت: أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: لا»** [رواه البخاري في صحيحه (102/6 رقم 2924 مع الفتح)].

ونقل ابنُ حجر والبدر العيني في شرحهما عن المُهلَّب بن أبي صُفْرَة الأندلسي (ت 435) أنه قال: "في هذا الحديث منقبةٌ لمعاوية، لأنه أول من غزا البحر...".

وقال ابن عبد البر في التمهيد [(242/1)]: "لم يختَلفْ أهلُ السِّيَر فيما عَلمتُ أن غَزاةَ معاوية هذه المذكورةُ في حديثِ هذا الباب إذْ غَزَتْ معه أمُّ حَرَام كانت في خِلافة عُثمان".

فضيلة أخرى تتصل بسابقتها: عن أنس رضي الله عنه، عن أم حَرَام – وهي خالة أنس، قالت: **«أتانا النبيُّ صلى الله عليه وسلم يوما فَقَالَ عندَنا، فاستيقظَ وهو يَضحكُ، فقلت: ما يُضحكك يا رسولَ الله؛ بأبي أنتَ وأمّي؟ قال: أُريتُ قوماً من أمّتي يَركبون ظهرَ البحر كالمُلوكِ على الأَسِرَّة. فقلت: ادعُ اللهَ أن يجعلَني منهم. قال: فإنَّكِ منهم، قالت: ثمَّ نام، فاستيقظَ أيضاً وهو يَضحك، فسألتُه، فقال مثل مقالته، فقلتُ: ادعُ اللهَ أن يجعلني منهم. قال: أنتِ من الأوّلين.**

قال: فتزوّجَها عُبادَة بن الصامِت بعدُ، فغزَا في البحر؛ فحَمَلَها مَعَه، فلمّا أن جاءت قَرَّبَت لها بغلة فركِبَتها، فصَرَعَتْها؛ فانْدَقَّتْ عُنُقُها» [رواه البخاري (6282 و6283) ومسلم (1912)].

فإذا تبيَّن هذا الفضلُ العظيم، كان معاوية من أولى الناس به، إذ أنه أميرُ تلك الغزاة بالاتفاق؛ كما تقدَّم قريباً، وقد قال ابنُ عبد البر عن هذا الحديث في التمهيد [(235/1)]: "وفيه فضلٌ لمعاوية رحمه الله، إذ جَعَلَ مَن غَزا تحتَ رايَتِهِ مِن الأوَّلين". وعدّه الآجري [(2441/5)] واللالكائي [(1438/8)] وغيرهما من فضائل معاوية رضي الله عنه.

والنصوص كثيرة ذكرنا منها بعضاً فقط.

حكم أئمة آل البيت في معاوية رضي الله عنه:

وبعد ذكر النصوص الواردة في إثبات صحبة معاوية رضي الله عنه وبيان فضله، يأتي هنا سؤال هام: ما حكم أئمة آل البيت في معاوية؟ هل كفروه وفسقوه ولعنوه كما فعل يفعل مدعو التشيع لهم، أم أن لهم حكم آخر فيه؟ وللإجابة عن هذا التساؤل يمكن القول بأنه لا يوجد نص واحد عن الإمام علي ولا عن ولديه الحسن والحسين رضي الله عنهم في لعن معاوية أو تكفير بل الأحداث تخبر أن الإمام علي رضي الله عنه وإن كان تنازع مع معاوية رضي الله عنه، لكنهما في نهاية الأمر خضعا لصلح وتحكيم، فلو كان معاوية كافراً؛ فكيف للإمام علي رضي الله عنه أن يقبل بقاء معاوية والياً على الشام بعد التحكيم؟ بل قد ثبت عنه رضي الله عنه عدم تكفيره لمن حاربه ومن كتب الشيعة المعتمدة عندهم: "فعن جعفر عن أبيه أنّ عليًّا عليه السّلام لم يكن ينسب أحدًا من أهل حربه إلى الشّرك، ولا إلى النّفاق، ولكنّه يقول: هم بغوا علينا" [وسائل الشّيعة: 62/11].

وجاء في كتاب الإمام علي رضي الله عنه إلى أهل الأمصار يذكر فيه ما جرى بينه وبين أهل صفين: "وكان بدء أمرنا التقينا والقوم من أهل الشّام، والظّاهر أنّ ربّنا واحد، ودعوتنا في الإسلام واحدة، ولا نستزيدهم في الإيمان بالله، والتّصديق برسوله، ولا يستزيدوننا، الأمر واحد إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان ونحن منه براء" [نهج البلاغة: ص 448].

وقد أنكر على من يسب معاوية ومن معه فقال: "إنّي أكره لكم أن تكونوا سبّابين، ولكنّكم لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبّكم إياهم: اللّهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم" [نهج البلاغة: ص323].

ثم كيف نفسر تنازل الإمام الحسن بالخلافة لمعاوية وكيف بايعه الإمام الحسين، أكانا يعلمان أنه كافر ومع ذلك بايعاه، فيكون ذلك قادحاً في حقهما، وخاصة الإمام الحسن الذي تنازل له؟! أم أنهما كانا خائفين منه فبايعاه كرها وهذا مستبعد؛ لأن الثابت تاريخياً أن الإمام الحسن تنازل لمعاوية رضي الله عنهما وهو في قوة ومنعة؟!

والرأي الثالث وهو الصحيح أنهما رضي الله عنهما بايعاه وهما معتقدان صحة إسلامه وصلاحيته لهذه المهمة. فلماذا لا يقتدي الروافض والحوثيون بأمتهم بعد ثبوت مثل هذا النصوص عنهم.

شهادة علماء الأمة بفضل معاوية رضي الله عنه:

فقد ثبت من أقوال المنصفين من علماء الأمة في معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ما يلي:

قال الموفق بن قدامة المقدسي في (لمعة الاعتقاد): "ومعاوية خال المؤمنين، وكاتب وحي الله، وأحد خلفاء المسلمين رضي الله عنهم".

وقال شارح الطحاوية: "وأول ملوك المسلمين معاوية، وهو خير ملوك المسلمين".

وقال الذهبي في (سير أعلام النبلاء): "أمير المؤمنين ملك الإسلام".

وروى البيهقي عن الإمام أحمد أنه قال: "الخلفاء: أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ. فقيل له: فمعاوية. قال: لم يكن أحد أحق بالخلافة في زمان عليّ من عليّ ورحم الله معاوية".

وروى ابن أبي الدنيا بسنده إلى عمر بن عبد العزيز أنه قال: "رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وأبو بكر وعمر جالسان عنده، فسلمت عليه وجلست، فبينا أنا جالس أُتيَ بعليّ ومعاوية فأدخلا بيتاً وأجيف الباب، وأنا أنظر، فما كان بأسرع من أن خرج عليّ وهو يقول: قضي لي ورب الكعبة، ثم ما كان بأسرع من أن خرج معاوية وهو يقول: غفر لي ورب الكعبة".

وروى ابن عساكر عن أبي زرعة الرازي: "أنه قال له رجل: إني أبغض معاوية، فقال له: ولِمَ؟ قال: لأنه قاتل علياً، فقال له أبو زرعة: ويحك إن رب معاوية رحيم، وخصم معاوية خصم كريم، فأيش دخولك أنت بينهما، رضي الله تعالى عنهما".

وسئل الإمام أحمد عما جرى بين عليٍ ومعاوية فقال: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، وكذلك قال غير واحد من السلف.

وسئل ابن المبارك عن معاوية، فقال: "ماذا أقول في رجل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سمع الله لمن حمده. فقال معاوية خلفه: ربنا ولك الحمد". ومعلوم أن (سمع) بمعنى استجاب، فمعاوية حصل له هذا الفضل وهو الصلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، والرسول صلى الله عليه وسلم قال: ((سمع الله لمن حمده))، ومعاوية رضي الله عنه كان ممن يصلي وراءه ويقول: ربنا ولك الحمد.

وقيل له – أي ابن المبارك – أيهما أفضل هو أو عمر بن عبد العزيز؟ فقال: "لَتُرابٌ في منخري معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خير وأفضل من عمر بن عبد العزيز".

وسئل المعافى بن عمران: أيهما أفضل، معاوية أو عمر بن عبد العزيز؟ فغضب وقال للسائل: "أتجعل رجلاً من الصحابة مثل رجل من التابعين؛ معاوية صاحبه، وصهره، وكاتبه، وأمينه على وحي الله".

وقال الفضل بن زياد: سمعت أبا عبد الله وقد سئل عن رجل تنقص معاوية وعمرو بن العاص أيقال له: رافضي؟ . فقال: "إنه لم يجترئ عليهما إلاّ وله خبيئة سوء؛ ما انتقص أحد أحداً من الصحابة إلاّ وله داخلة سوء".

وقال ابن المبارك عن محمد بن مسلم عن إبراهيم بن ميسرة قال: "ما رأيت عمر بن عبد العزيز ضرب إنساناً قطّ إلاّ إنساناً شتم معاوية، فإنه ضربه أسواطاً".

وهذه النقول المتقدمة أكثرها في كتاب (البداية والنهاية) لابن كثير في ترجمة معاوية [انظر البداية والنهاية لابن كثير (8/130-139)].

فإذا ثبت بهذا المقال صحبته للرسول صلى الله عليه وسلم فيترتب على ذلك وجوب دفع الأذى عنه، وذلك من علامات الإيمان، ومن الدلائل على محبة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فمن علامة المحبة له صلى الله عليه وسلم أن نحب من أحبهم، فلو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع إنسانا يسب أحد صحابته ما عساه أن يقول؟ أكيد أنه سيغضب وسيقول كما في الحديث المتفق عليه: **«لا تسبوا أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»** وكما عند الطبراني عن ابن عباس وهو في صحيح الجامع [(6285)]: **«من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»**. فإذا التعرض والقدح والسب واللعن للصحابة أو لأحدهم يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن الواجب على المحب أن يدفع عنه ما يؤذيه.

دفع بعض الشبهات عن معاوية رضي الله عنه:

ورد في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في معاوية: **«لا أشبع الله بطنه»**. فروى بسنده إلى ابن عباس قال: **«كنت ألعب مع الصبيان، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواريت خلف الباب، قال: فجاء فحطأني حطأة يعني ضرب بيديه بين كتفي، وقال: «اذهب وادع لي معاوية»**. قال: فجئت وقلت: هو يأكل. ثم قال: **«اذهب فادع لي معاوية»**. قال: فجئت فقلت: هو يأكل. قال: **«لا أشبع الله بطنه»**. وقد قال النووي رحمه الله في شرحه: "وقد فهم مسلم رحمه الله من هذا الحديث أن معاوية لم يكن مستحقاً للدعاء عليه، فلهذا أدخله في هذا الباب، وجعله غيره من مناقب معاوية" [انظر شرح النووي (16/156)]، يعني: وجعله غير مسلم من مناقب معاوية؛ لأنه يصير في الحقيقة دعاءً له.

قال النبي صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم عن عليّ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: **«لا يحبك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلا منافق»**، قال صاحب المفهم: "وأما الحروب الواقعة بينهم؛ فإن وقع من بعضهم بغض لبعض فذاك من غير هذه الجهة، بل للأمر الطارئ الذي اقتضى المخالفة؛ ولذلك لم يحكم بعضهم على بعض بالنفاق، وإنما كان حالهم في ذلك حالَ

المجتهدين في الأحكام، للمصيب أجران، وللمخطئ أجر واحد، والله تعالى أعلم" [فتح الباري (63/1)].

والحاصل: أن الفتن التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم يجب أن يكون حظ العاقل منها حسنَ الظن بالصحابة الكرام، والسكوت عن الكلام فيهم إلاّ بخير، والترضي عن الصحابة جميعاً، وموالاتهم، ومحبتهم، والجزم أنهم دائرون في اجتهاداتهم بين الأجر والأجرين.

وفي الختام كلمتان مهمتان لمن أراد الإنصاف:

الأولى: قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "لا يجوز لعنُ أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولا سبّهم، ومن لعن أحداً منهم كمعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، ونحوهما، أو من هو أفضل منهما كأبي موسى الأشعري، وأبي هريرة، وغيرهما، أو من هو أفضل من هؤلاء، كطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعثمان بن عفان، وعليّ بن أبي طالب، وأبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، أو عائشة أم المؤمنين، وغير هؤلاء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه مستحق للعقوبة البليغة باتفاق أئمة الدين. وتنازع العلماء، هل يعاقب بالقتل أو بما دون القتل؟". وقال: "المهاجرون من أوّلهم إلى آخرهم ليس منهم من اتهمه أحد بالنفاق، بل كلهم مؤمنون مشهود لهم بالإيمان". وقال: "وأما معاوية بن أبي سفيان وأمثاله من الطلقاء الذين أسلموا بعد فتح مكة، كعكرمة بن أبي جهل، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وصفوان بن أمية، وأبي سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب، هؤلاء وغيرهم ممن حسن إسلامهم باتفاق المسلمين، لم يتهم أحد منهم بعد ذلك بنفاق، ومعاوية قد استكتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلم". وقال: "لما مات يزيد بن أبي سفيان في خلافة عمر استعمل أخاه معاوية، وكان عمر بن الخطاب من أعظم الناس فراسةً، وأخبرهم بالرجال، وأقومهم بالحق، وأعلمهم به". وقال: "فما استعمل عمر قط، بل ولا أبو بكر على المسلمين منافقاً، ولا استعملا من أقاربهما ولا كانت تأخذهما في الله لومة لائم". وقال: "وقد علم أن معاوية، وعمرو بن العاص، وغيرهما كان بينهم من الفتن ما كان، ولم يتَّهمهم أحد من أوليائهم، ولا محاربيهم بالكذب على النبي صلى الله عليه وسلم، بل جميع علماء الصحابة والتابعين بعدهم متفقون على أن هؤلاء صادقون على رسول الله صلى الله عليه وسلم مأمونون عليه في الرواية عنه، والمنافق غير مأمون على النبي، كاذب عليه مكذب له". وقال: "وسائر أهل السنة والجماعة وأئمة الدين لا يعتقدون عصمة أحد من الصحابة، ولا القرابة، ولا السابقين ولا غيرهم، بل يجوز عندهم وقوع الذنوب منهم، والله يغفر لهم بالتوبة، ويرفع بها درجاتهم، ويغفر لهم بحسنات ماحية، أو بغير ذلك من الأسباب". قال: "وهذا في الذنوب المحققة، وأما ما اجتهدوا فيه فتارة يصيبون، وتارة يخطئون، فإذا اجتهدوا فأصابوا فلهم أجران، وإذا اجتهدوا فأخطئوا فلهم أجر على اجتهادهم، وخطؤهم مغفور". وقال: "ومعاوية لم يدَّع الخلافة، ولم يبايع له فيها حين قاتل عليّا، ولم يقاتل على أنه خليفة، ولا أنه يستحق

الخلافة، ويقرون له بذلك، وكان هو يقر بذلك لمن يسأله، وما كان يرى هو وأصحابه أن يبتدئوا علياً وأصحابه بالقتال، بل لما رأى عليّ رضي الله عنه وأصحابه أنه يجب على معاوية وأصحابه طاعته ومبايعته؛ إذ لا يكون للمسلمين إلا خليفة واحد، وأنهم خارجون عن طاعته يمتنعون عن هذا الواجب وهم أهل شوكة، رأى أن يقاتلهم حتى يؤدوا هذا الواجب فتحصل الطاعة والجماعة. وقال معاوية وأصحابه، إن ذلك لا يجب عليهم، وأنهم إذا قوتلوا كانوا مظلومين. قالوا: لأن عثمان قتل مظلوماً باتفاق المسلمين، وقتَلَته في عسكر عليّ، وهم غالبون لهم شوكة". وقال: **«ثم إن عماراً تقتله الفئة الباغية»** ليس نصّاً في أن هذا اللفظ لمعاوية وأصحابه، بل إنه يمكن أنه أريد به تلك العصابة التي حملت عليه حتى قتلته وهي طائفة العسكر، ومن رضي بقتل عمار كان حكمه حكمها. ومن المعلوم أنه كان في العسكر من لم يرضَ بقتل عمار كعبد الله بن عمرو بن العاص، وغيره، بل كل الناس كانوا منكرين لقتل عمار حتى معاوية وعمرو" [وهذه النقول عن شيخ الإسلام من إجابته على سؤال في معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه طبع بتحقيق صلاح الدين المنجد].

الثانية: قال الحافظ الذهبي في كتابه: "فإن قيل: كيف ساغ توثيق مبتدع، وحدُّ الثقة العدالة والإتقان؛ فكيف يكون عدلاً من هو صاحب بدعة؟. والجواب: أن البدعة على ضربين: فبدعة صغرى كغلو التشيع، أو كالتشيع بلا غلوٍ ولا تحرُّقٍ، فهذا كثير في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق؛ فلو رُدَّ حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبوية، وهذه مفسدة بَيِّنَةٌ. ثم بدعة كبرى كالرفض الكامل، والغلو فيه، والحط على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، والدعاء إلى ذلك، فهذا النوع لا يحتج بهم ولا كرامة. وأيضا فما أستحضر الآن في هذا الضرب رجلاً صادقاً ولا مأموناً، بل الكذب شعارهم، والتقية والنفاق دثارهم، فكيف يقبل نقلُ من هذا حاله؟ حاشا وكلاّ، فالشيعي الغالي في زمان السلف وعُرْفِهم هو من تكلم في عثمان، والزبير، وطلحة، ومعاوية، وطائفة ممن حارب علياً رضي الله عنه وتعرض لسبهم. والغالي في زماننا وعرفنا هو الذي يكفر هؤلاء السادة، ويتبرأ من الشيخين أيضاً فهذا ضالٌ مفترٍ" [انظر الميزان (5/1)].

خلاصة ما يجب اعتقاده فيما جرى بين الصحابة من الفتن:

1- الدفاع عن كل من ثبتت له وصف الصحبة واستقر واجب شرعي، بعمومهم وخصوصهم، محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وغيرة على الدين الذي دعا إليه وضحى هو وصحابته من أجله.

2- الدفاع عن الصحابي الجليل معاوية رضي الله عنه واجب شرعي أيضاً، لكونه صحابي ثبتت له فضيلة الصحبة بشهادة النصوص الشرعية، وشهادة بعض من عاشوا معه من الصحابة، وشهادة علماء السلف قديماً.

3- معاوية رضي الله عنه، بوابة الصحابة والسكوت عن مطاعن الحوثيين فيه طريق ممهد للنيل من الخلفاء الراشدين، بل والطعن في رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينتبه لذلك!!!

4- بعض النصوص التي في ظاهرها الطعن في أحد الص ابة، يلزم تأويلها والقدر الذي ينكر من فعل بعضهم نزر مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم، من الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيله، والهجرة، والنصرة، والعلم النافع، والعمل الصالح، وما منَّ الله عليهم به من الفضائل فهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله. لذا ينبغي لكل صَيّنٍ متدين مسامحة الصحابة فيما صدر بينهم من التشاجر، والاعتذار عن مخطئهم، وطلب المخارج الحسنة لهم، فطريقة العارفين الاعتذار عن المعائب، وطريقة المنافقين تتبع المثالب.

5- عقيدة أهل السنة والجماعة فيما جرى في الفتنة بين الصحابة هو الكف عما شجر بينهم ولقد أحسن شارح الطحاوية حيث قال بعد أن أشار إلى ما جرى بين عليّ ومعاوية رضي الله عنهما: "أن نقول في الجميع بالحسنى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾". "والفتن التي كانت في أيامه – أي أيام أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه – قد صان الله عنها أيدينا، فنسأله سبحانه وتعالى أن يصون عنها ألسنتنا بمنه وكرمه".

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على خير خلقه، وأفضل رسله نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.